

أفضل صديق

" هذا خليلي " (نش 5 : 16) .

الصديق هو أحد أعظم البركات على الأرض ، مع هذا فإنه من النادر وجود الأصدقاء الحقيقيين . كثيرون يصادقونك في أوقات الرخاء والسعة ، لكن الصديق الحقيقي - الذي يظل معك عندما تكون مريضاً محتاجاً للمساعدة ، أو عندما تكون فقيراً لا تملك شيئاً - نادر الوجود . ومن الأكثر ندرة أن تجد أصدقاء ، يمكن أن يهتموا بروحك . لكني أريد أن أزكي لك صديقاً حقيقياً . وهو " مُحبُّ الزرق من الأخ " (أم 18 : 24) . إنه مستعدُّ أن يكون صديقك الآن ، وفي الأبدية أيضاً . الصديق الذي أريدك أن تعرفه هو الرب يسوع المسيح . ثق أنك ستكون سعيداً حقاً ، إذا كان هو صديقك الأول .

1 - الرب يسوع صديق المحتاجين :

لأننا خطاة ، فنحن في أشد احتياج ممكن . كلنا - بالطبيعة - مرضى بمرض مميت . إننا أموات بالخطية ، لكن المسيح جاء ليخلصنا من هذا الموت . وكلنا - بالطبيعة - مدينون . إننا مدينون لله بدين لا يمكن أبداً أن نسدده ، لكن المسيح جاء لكي يسدد ديننا . وكلنا - بالطبيعة - غرقى ومحطمون ، ولم يكن من الممكن أن نصل إلى ميناء الحياة الأبدية الأمين . لكن الرب يسوع جاء لكي ينقذ الهالكين ، ويحضرنا بأمان إلى السماء .

وهكذا ، لم يكن ممكناً أن نخلص إلا بمجيء المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة (1 تي 1 : 15) . لم يكن مُجبِراً أن يفعل هذا ، إلا أن محبته غير المحدودة . رحمته وحنانه هي التي دفعته لكي يخلصنا . هذه هي الصداقة الحقيقية . حقاً ، لا يوجد أبداً صديق مثل الرب يسوع المسيح .

2 - الرب يسوع صديق فعال :

الصديق الحقيقي يُعرف بأعماله لا بكلماته ، ولا توجد أعمال عملها إنسان، كدليل على الصداقة الحقيقية ، أكثر مما عمله المسيح لأجلنا . بالرغم من أنه - بالطبيعة - هو الله ، لكنه من أجلنا أخذ طبيعة بشرية ، وصار إنساناً . من أجلنا عاش أكثر من ثلاثين عاماً في هذا العالم الشرير ، مُحْتَقِراً ومردولاً من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن . من أجلنا خضع للموت الرهيب ، على الصليب . لقد مات من أجلنا .

لم يكن على يسوع أن يفعل أي شيء من هذه ، لكنه عرف أنه لا شيء آخر يستطيع أن يخلصنا . إنها محبته التي جعلته مستعداً أن يأتي ليموت لأجلنا . هذه الصداقة أعظم بكثير من مداركنا . من يستطيع أن يجد شخصاً ، يمكن أن يموت من أجل الذين يكرهونه ؟ هذا بالضبط ما فعله الرب يسوع . حقاً ، لا يوجد صديق مثله على الإطلاق .

3 - الرب يسوع صديق قوي :

في أغلب الأحيان يكون أصدقاؤنا راغبين في مساعدتنا ، إذا كان في استطاعتهم ذلك . إنهم دائماً ما يتعاطفون معنا عندما نقع في مشكلة ، لكنهم عادة لا يملكون القوة التي تخلصنا من المشكلة ، لكن المسيح قادرٌ ، إنه لا يقف أبداً موقف الذي يرغب في المساعدة ، ولا يمتلك القوة ليقدمها .

هو يستطيع أن يغفر ، حتى لأشرّ الخطاة ، فمهما كان ما فعلناه، فإن دمه يستطيع أن يطهرنا من كل خطية إنه يستطيع أن يغير أفسى القلوب ، وأن يخلق روحاً جديداً في الإنسان . ويستطيع أن يحفظ إلى التمام كل من يؤمنون به . ويستطيع أن يعطيهم نعمة ، ليغلبوا العالم والجسد والشرير ، ويحفظهم إلى النهاية . هو يستطيع أن يعطي أعظم العطايا في هذه الحياة للذين يحبونه ، فيمنحهم السلام والرجاء والفرح والتعزيات الداخلية التي لا يمكن أن تشتريَ بمال، وأن يمنحهم بعد الموت إكليل المجد الذي لا يفنى . هذه هي القوة الحقيقية . حقاً لا يوجد صديق قوي مثل يسوع .

4 - الرب يسوع صديق مُحب :

عُرِفَت محبة يسوع بأنها " محبة فائقة المعرفة " (افسس 3: 19) . وهو يُظهر محبته بترحيبه بقبول الخطاة . هو لا يطرد أحداً ، مهما عظمت خطاياها . إنه مستعد أن يغفر وأن يطهر كل الذين يأتون إليه . ومحبته تظهر بالطريقة التي يتعامل بها مع الخطاة ، بعد أن يؤمنوا به ويصبحوا أصدقاءه . إنه صبور دائماً معهم ، وعلى استعداد دائم لأن يسمع شكواهم ، وأن يتعاطف معهم . ولا يسمح لهم أن يُجربوا فوق قدرتهم على الاحتمال .

وهو يتقبل خدماتهم مهما كانت بسيطة . ولقد قصد أن يُكتب في الكتاب المقدس، إنه " يرضى باتقيائه " (مز 147 : 11) .

إن محبة الرب يسوع ، ليست بسبب أي شيء يستحق الحب فينا، لكنها محبة تتدفق من حنانه الصافي وغير الأناني . حقاً ، لا توجد محبة على الأرض يمكن مقارنتها بمحبة يسوع .

5- الرب يسوع صديق حكيم :

أصدقائنا ليسوا حكماء دائماً ، فمن الممكن أن يقدموا لنا نصيحة حمقاء أو ضارة ، حتى إن كان ذلك بنية طيبة . بعض الأصدقاء يمثلون عائقاً لنا في طريق الإيمان ، ويربكوننا بالعالم الفاني ، لكن صداقة الرب يسوع تفيدنا على الدوام ، ولن تؤذينا على الإطلاق .

والرب يسوع لا يمكن أن يُفسد أصدقاءه بإعطائهم ما يرغبون عوضاً عن ما هو لخيرهم . إنه يعطيهم كل شيء نافع حقاً لهم ، لكنه يطلب منهم أيضاً أن يعانون الضيق ، وأن يحملوا صليبهم . حتى وإن كان هذا الضيق ضد رغبتهم في الحاضر ، فإنه يعرف انه لخيرهم ، وسوف يُدركون هذا عندما يذهبون إلى السماء . إن الرب يسوع لا يمكن أبداً أن يخطئ في التعامل مع أصدقائه .

وعندما ننظر حولنا ، نرى بسهولة كيف أن العديد من الناس كثيراً ما يلحقهم أذى من أصدقائهم ، فالأصدقاء غالباً ما يشجعون بعضهم بعضاً في الأمور العالمية والحماقات ، أكثر من تشجيعهم لبعضهم البعض على المحبة والأعمال الحسنة . وعندما يتقابلون معاً، فغالباً ما ينتجون الشر ، أكثر من الخير . لكن صداقة الرب يسوع مختلفة تماماً . إنه صديق الخطاة .

تأمل في معاملاته مع تلاميذه ، بمواساته وتوبيخه ، وتحذيره لهم في حكمة كاملة . تأمل في التوقيت الدقيق لزيارته لمريم ومرثا في بيت عنيا (يو11) . تأمل حكمته ، وكيف تعامل بالنعمة مع بطرس على شاطئ بحيرة الجليل (يو21) . إن رفقته تجعل أصدقاءه أكثر قداسة . وعطاياه تكون دائماً لخيرنا الروحي ، وعطفه دائماً ممزوج بالحكمة . حقاً لا يوجد - على الإطلاق - صديق حكيم ، كيسوع المسيح .

6 - الرب يسوع صديق موثوق به :

لقد أظهر الرب يسوع صداقته لكل أنواع البشر ، في كل الظروف ، على مدى التاريخ . كان البعض من أصدقائه ملوكاً وأغنياء مثل داود وسليمان ، وكان البعض منهم فقراء مثل رعاة بيت لحم ، وكان بعضهم سادة مثل إبراهيم ، وآخرون كانوا عبيداً مثل المسيحيين في بيت نيرون . البعض صاروا أصدقاء له منذ طفولتهم المبكرة مثل صموئيل وتيموثاوس ، وآخرون لم يعرفوه إلا بعد أن تقدم بهم العمر مثل منسى . بعضهم كان مندفعاً مثل بطرس أو ممثلاً نشاطاً مثل مرثا ، وآخرون هادئون مثل مريم . لقد أخذ أصدقاء الرب يسوع من كل شعوب العالم ، وكلهم وجدوه نعم الصديق . حقاً، لا يوجد صديق آخر اختيره الكثيرون وثبت إخلاصه مثل الرب يسوع المسيح .

7 - الرب يسوع صديق صدوق :

مع أن كل شيء آخر على الأرض يتغير ، فإن صداقة الرب يسوع المسيح لا يمكن أن تتغير . فقد يتخلى الأزواج عن زوجاتهم ، وحتى الآباء عن أطفالهم، لكن المسيح لم يتخلى عن واحد من أصدقائه ، ولا حتى تغيرت مشاعره من نحو أحدهم . إنه " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " . وعندما يُعد منزله في قلب أي خاطئ ، فإنه لن يفارقه أبداً . إنه يقول : " لا أهملك ولا أتركك " (عب 13 : 5) .

الخلاصة :

دعني أختم ببعض كلمات للتطبيق .
أنا لا أعرف حالتك الروحية ، لكنني أعلم أن ما أقوله يجب أن يستحق اهتمامك . أناشدك
أن تلتفت الآن إلى الرب يسوع المسيح، وإلى حالتك الروحية .

أولاً - أسألك أن تفكر بجديّة إذا ما كان المسيح صديقاً لك ، وأنت صديق له . إنني أقولها
بكل حزن ، إن الآلاف المؤلفة من الذين يدعون أنفسهم مسيحيين، ليسوا أصدقاء للمسيح على
الإطلاق . إنهم مسيحيون في الظاهر ، لكنهم ليسوا أصدقاء للرب يسوع . إنهم لا يكرهون
الخطايا التي مات المسيح ليطرحها عنا . إنهم لا يُحبّون المخلص الذي جاء إلى العالم
ليخلص الخطاة . إنهم لا يسرّون بانجيل المصالحة . إنهم لا يتحدثون مع صديق الخطاة في
الصلاة ، ولا يبحثون عن الشركة الحميمة معه . مثل هؤلاء ، ليسوا أصدقاء للمسيح .
أناشدك أن تمتحن نفسك ، هل أنت واحد من أصدقاء المسيح أم لا ؟

ثانياً - أريدك أن تعرف أنك إذا لم تكن من أصدقاء المسيح، فأنت مسكين وبائس . أنك
تعيش في عالم فاني - عالم الحزن - ولا يوجد مصدر حقيقي للراحة ، أو ملجأ تلجأ إليه في
وقت الحاجة . أنك ستموت يوماً ما ، لكنك لست مستعداً للموت ، فخطاياك لم تغفر ، أنت
ماض إلى الدينونة ، دون أن تكون مستعداً لمقابلة الله . أنك تستطيع أن تكون مستعداً ولكنك
ترفض الوسيط الوحيد الذي يمكنه أن يخلصك . أنك تحب العالم أكثر من المسيح . وترفض
صديق الخطاة، لذلك أعود فأقول إنك مسكين وبائس .

ثالثاً - أريدك أن تعرف أنه إذا كنت حقاً تريد صديقاً ، فالمسيح يريد أن يصبح صديقك .
إنه يدعوك الآن ، من خلال هذه الكلمات . وهو مستعدٌ أن يقبلك مهما كان شعورك بعدم
الاستحقاق وأن يحسبك بين أصدقائه . إنه مستعدٌ أن يسامحك على كل ماضيك ، وأن يُلبسك
ثوب برّه . إنه مستعدٌ أن يمنحك روحه ، وأن يجعلك ابناً له . كل ما يطلبه منك هو أن تأتي
إليه . إنه يدعوك أن تأتي بكل خطاياك . معترفاً بفسادك وخزيك . تعال كما أنت ، لا تنتظر
شيئاً أو تغييراً ما . لكنه يدعوك الآن أن تأتي وتُصبح صديقاً له . ألا تريد أن تأتي ؟

رابعاً - أريدك - أخيراً - أن تعرف أنه إذا كان المسيح صديقك، فإن لك امتيازات عظيمة ، ويجب أن تحيا بالشكل اللائق بها. اجتهد كل يوم أن تكون لك شركة أكثر قرباً ، وأن تعرف أكثر عن نعمته وقوته. إن المسيحية الحقيقية ليست مجرد إيمان بمجموعة من الحقائق النظرية ، لكنها الحياة في شركة يومية مع شخص المسيح . يقول الرسول بولس : " لأن لي الحياة هي المسيح " (في 1 : 21) . حاول أن تمجد المسيح في كل شيء كل يوم . " المكثرون الأصحاب يلتزم أن يكون صدوقاً " (أم 18 : 24) ، وليس هناك من أحد تحت التزام كشخص هو صديق للمسيح نفسه . ابتعد عن أي شيء يمكن أن يُحزنه . جاهد بقوة ضد الخطايا المُحدقة المحيطة بك بسهولة ، ضد التقلب ، ضد التواني في الاعتراف به أمام الناس . عندما تجرّب ، قل لنفسك: " هل هذا هو الوفاء لصديقي " .

وفوق الكل فكر في الرحمة التي قد أظهرها لك . تعلم أن تبتهج كل يوم بصديقك . قد تكون مريضاً ، أو قد تكون مشاكلك صعبة جداً، قد يتخلى أصدقاؤك الأرضيون عنك ، وتصبح وحيداً في العالم، لكن إن كنت في المسيح فلك صديق ، صديق قوى ومحب، صديق حكيم وصدوق . فكر كثيراً في صديقك .

وصديقك هذا سوف يأتي سريعاً ويأخذك إليه . في ذلك الوقت سوف يعرف العالم كله ، أن الإنسان السعيد الحقيقي والإنسان الغني الحقيقي ، هو ذلك الإنسان الذي قد اتخذ الرب يسوع صديقاً له .